المبحث الثالث
محاكمة بني قريظة

الأوس يشفعون لليهود عند رسول الله ﷺ:

يقول أ/ باشميل: «لقد كان بنو قريظة حلفاء الأوس في الجاهلية، كما كان يهود بني النضير وبني قينقاع حلفاء الخزرج.

ولما كانت آثار هذا الحلف لا تزال قائمة حتى بعد مجيء الإسلام، حيث ظل الحليف يبذل لحليفه كل عون يقدر عليه ـ وإن اختلفا في الدين والعقيدة ـ دون أن يعترض الإسلام على ذلك.

فقد توجه وفد من وجوه الأوس إلى رسول الله ﷺ للتوسط لديه بشأن حلفائهم اليهود.

ولما اجتمع وفد الشفاعة من الأوس بالنبي ﷺ تقدموا إليه بالتماس، طلبوا فيه أن يتكرم بالتخفيف من عقوبة هؤلاء اليهود ولو بالاكتفاء بنفيهم من المدينة.

وقد ذكَّر وفد الشفاعة هذا النبي ﷺ بموقف التسامح الذي وقفه من حلفاء الخزرج (يهود بني قينقاع) الذين قبل فيهم (عندما نزلوا على حكمه) شفاعة زعيم الخزرج عبد الله بن أُبي، فاكتفى في معاقبتهم بنفيهم من المدينة». [غزوة بني قريظة لباشميل ١٨٠-١٨١].

قَالَ ابن إسحاق: فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ الله ﷺ فَتَوَاثَبَتِ الأَوْسُ، فَقَالُوا: **يَا رَسُولَ الله إِنَّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الخَزْرَجِ، وَقَدْ فَعَلتَ فِي مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِالأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ** ـ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَكَانُوا حُلَفَاءَ الخَزْرَجِ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ فَسَأَلَهُ إِيَّاهُمْ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ فَوَهَبَهُمْ لَهُ ـ فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ الأَوْسُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟**»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ الله: «**فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٣٩].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي خَارِجَةُ بْنُ عَبْدِ الله، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الحُصَيْنِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ مَسْلَمَةَ ﷺ قَالَ: وَتَنَحَّى رَسُولُ الله ﷺ فَجَلَسَ، وَدَنَتْ الأَوْسُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالُوا: **يَا رَسُولَ الله، حُلَفَاؤُنَا دُونَ الخَزْرَجِ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا صَنَعْتَ بِبَنِي قَيْنُقَاعَ بِالأَمْسِ حُلَفَاءِ ابْنِ أُبَيٍّ، وَهَبْتَ لَهُ ثَلاثمِائَةِ حَاسِرٍ وَأَرْبَعمِائَةِ دَارِعٍ، وَقَدْ نَدِمَ حُلَفَاؤُنَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَقْضِهِمْ العَهْدَ فَهَبْهُمْ لَنَا**، وَرَسُولُ الله ﷺ سَاكِتٌ لا يَتَكَلَّمُ حَتَّى أَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَأَلَحُّوا، وَنَطَقَتْ الأَوْسُ كُلُّهَا.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ الحُكْمُ فِيهِمْ إِلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ؟**» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**»، وَسَعْدٌ يَوْمَئِذٍ فِي المَسْجِدِ فِي خَيْمَةِ كُعَيْبَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَكَانَتْ تُدَاوِي

الجَرْحَى، وَتَلُمُّ الشَّعَثَ وَتَقُومُ عَلَى الضَّائِعِ وَالَّذِي لا أَحَدَ لَهُ، وَكَانَ لَهَا خَيْمَةٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَعَلَ سَعْدًا ﷺ فِيهَا. [المغازي للواقدي ٢/ ٥١٠].

تحكيم سعد بن معاذ ﷺ في بني قريظة:

يقول أ/ باشميل: «ومع فظاعة الجريمة، جريمة الغدر والنكث والخيانة العظمى التي ارتكبها يهود بني قريظة، فإن النبي ﷺ - بما جُبل عليه من نبل وشهامة ومراعاة لعواطف أصحابه، الذين آووا ونصروا - لم يشأ أن يرفض وساطة الأوس في حلفائهم القدامى اليهود.

بل مراعاة لهؤلاء الصحابة الأجلاء الذين - تحت ضغط رماحهم وإرهاب سيوفهم استسلم هؤلاء المجرمون من اليهود - جعل مصيرهم في أيدي الأوس أنفسهم، حيث فوض أمر هؤلاء اليهود إلى سيد الأوس، سعد بن معاذ ﷺ ليحكم فيهم بما يريه الله تعالى.

وقد طابت نفس الأوس من صحابة محمد ﷺ بهذا التفويض حيث كانوا يأملون من ورائه أن يخفف سيدهم سعد بن معاذ ﷺ من عقوبة حلفائه.

إلا أن حكم سيدهم سعد ﷺ في هؤلاء اليهود جاء على خلاف ما كان يتوقع قومه».

[غزوة بني قريظة لباشميل ١٨١].

روى البيهقي بسنده عَنِ ابْنِ شِهَابٍ وعَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ سَأَلُوهُ أَنْ يُحَكِّمَ فِيهِمْ رَجُلًا: «**اخْتَارُوا مَنْ شِئْتُمْ مِنْ أَصْحَابِي**»، فَاخْتَارُوا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ﷺ، فَرَضِيَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسِلَاحِهِمْ، فَجُعِلَ فِي قُبَّتِهِ، وَأَمَرَ بِهِمْ فَكُتِّفُوا، وَأُوثِقُوا، وَجُعِلُوا فِي دَارِ أُسَامَةَ. [دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ١٩].

وروى البيهقي بسنده عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ: وَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، حَتَّى سَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ حَكَمًا، يَنْزِلُونَ عَلَى حُكْمِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اخْتَارُوا مِنْ أَصْحَابِي مَنْ أَرَدْتُمْ**» وَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِمَعْنَى مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧] فَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا خَيْبَرُ، وَلَا أَحْسَبُهَا إِلَّا كُلَّ أَرْضٍ فَتَحَهَا اللهُ ﷻ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، أَوْ هُوَ فَاتِحُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٢].

الحَكَمُ الجريح:

يقول أ/ باشميل: «ولم يكن سعد بن معاذ ﷺ ممن اشتركوا في عملية حصار بني قريظة؛ لأنه كان في المدينة، تحت العلاج من جرحه الخطير الذي أصابه وقطع شريانه يوم الخندق، نتيجة سهم أصابه به أحد فرسان المشركين عبر الخندق.

وكانت تقوم بعلاج سعد ﷺ الجريح سيدة صحابية جليلة صالحة كانت قد أقامت لها خيمة في المسجد النبوي، تحتسب فيها عند الله القيام بمداواة جرحى المعارك من الصحابة ممن لم يكن له من يعالجه من أهله.

وسعد بن معاذ ﷺ ليس من هذا النوع؛ لأنه سيد الأوس وله أهله وعشيرته القادرون على رعايته وعلاجه، ولكن النبي ﷺ أمر أن يوضع في الخيمة في المسجد، وهدف الرسول ﷺ من هذا هو أن يكون هذا الزعيم الأوسي قريبًا منه فيعوده ويتعرف حاله متى شاء.

وقَالَ ابن إسحاق: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ جَعَلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ﷺ فِي خَيْمَةٍ لِامْرَأَةٍ مِنْ أَسْلَمَ (وقيل: إنها أنصارية. راجع: الإصابة وشرح المواهب)، يُقَالُ لَهَا: رُفَيْدَةُ، فِي مَسْجِدِهِ، كَانَتْ تُدَاوِي الجَرْحَى، وَتَحْتَسِبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السَّهْمُ بِالخَنْدَقِ: «**اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٣٩].

وبعد أن أبلغ النبي ﷺ أعيان قبيلة الأوس أنه قد جعل أمر حلفائهم اليهود إلى سعد بن معاذ ﷺ ليحكم فيهم بما يريه الله، توجه هؤلاء الأعيان من المعسكر النبوي في بني قريظة إلى المدينة لمقابلة سيدهم الشاب الجريح وإبلاغه القرار النبوي بشأن اليهود.

وقد قابل أعيان الأوس سيدهم سعدًا ﷺ في المسجد النبوي وأخبروه أن النبي ﷺ قد جعل أمر بني قريظة إليه ليحكم فيهم بما يريه الله، وأنه لابد من حضوره إلى حيث يعسكر الجيش الإسلامي في ديار بني قريظة ليبت في موضوعهم.

ولما كان جُرْحُ سعد ﷺ جرحًا خطيرًا، وهو نفسه كان جسيمًا، فقد هيأ له قومه دابة (حمارًا) ليركبه حتى مقر قيادة الرسول ﷺ في بني قريظة». [غزوة بني قريظة لباشميل ١٨٢-١٨٤].

شفاعة وجوه الأوس عند سيدهم لليهود:

يقول أ/ باشميل: «وبعد أن جعل النبي ﷺ مصير يهود بني قريظة في يد حليفهم سعد بن معاذ ﷺ ليحكم فيهم بما شاء، طمع قومه الأوس في أن يصدر عنهم عفوًا ينجيهم من القتل.

ولذلك توجه وفد من زعماء الأوس إلى سيدهم سعد بن معاذ ﷺ ليطلبوا منه أن يرأف في الحكم بحلفائه بني قريظة، ذكَّروه بأن النبي ﷺ لم يجعل إليه أمرهم إلا ليحسن فيهم.

وعندما توجه سعد ﷺ إلى ديار بني قريظة أحاط به وجوه قومه من الأوس وصاروا يستعطفونه ليترفق في حكمه بحلفائهم اليهود.

فلما أكثروا عليه أبلغهم بأنه لن يحكم فيهم إلا بما يستحقون، وأن ما بينهم وبين اليهود من حلف لا يمكن أن يحول بينهم وبين ما يستحقون من عقاب». [غزوة بني قريظة لباشميل ١٨٤].

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ:... وَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﵁ فَأُتِيَ بِهِ [فَحُمِلَ] عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: **يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ، وَأَهْلُ النِّكَايَةِ، وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ**، قَالَتْ: وَأَنَّى لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمْ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: **قَدْ آنَ لِي [لِسَعْدٍ] أَلَّا أُبَالِيَ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ**.

[مسند أحمد ٤٢/ ٢٦ -٢٨ رقم ٢٥٠٩٧، وقد سبق تخريجه قريبًا].

وعَنْ عُرْوَةَ ـ يعني ابن الزبير ـ قَالَ: وَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى سَعْدِ بن مُعَاذٍ ﵁، فَأَقْبَلَ عَلَى حِمَارٍ أَعْرَابِيٍّ، يَزْعُمُونَ أَنَّ وَطْأَةَ بَرْذَعَتِهِ [بَرْذَعَتِهِ] مِنْ لِيفٍ، وَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنْ بني عَبْدِ الأَشْهَلِ، **فَجَعَلَ يَمْشِي مَعَهُ يُعَظِّمُ حَقَّ بني قُرَيْظَةَ، وَيَذْكُرُ حِلفَهُمْ، وَالَّذِي أَبْلَوْهُمْ يَوْمَ بُعَاثٍ، وَأَنَّهُمُ اخْتَارُوكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ رَجَاءَ عَطْفِكَ، وتَحَنُّنِكَ عَلَيْهِمْ، فاسْتَبْقِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَكَ جَمَالٌ وَعَدَدٌ**، قَالَ: فَأَكْثَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَلَمْ يَحِرْ إِلَيْهِ سَعْدٌ ﵁ شَيْئًا، حَتَّى دَنَوْا، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَلَا تُرْجِعُ إِلَيَّ شَيْئًا؟ فَقَالَ سَعْدٌ: **وَالله لا أُبَالِي فِي الله لَوْمَةَ لائِمٍ**، فَفَارَقَهُ الرَّجُلُ، فَأَتَى إِلَى قَوْمِهِ، قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يَسْتَبْقِيَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِالَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ، وَالَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ.

[مجمع الزوائد ٦/ ٢٠١ في المغازي والسير (١٠١٥٦)، وقد سبق تخريجه قريبًا].

وروى البيهقي بسنده عَنِ ابْنِ شِهَابٍ وعَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ:... وَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَقْبَلَ عَلَى حِمَارٍ أَعْرَابِيٍّ، يَزْعُمُونَ أَنَّ وَطْأَةَ بَرْذَعَتِهِ مِنْ لِيفٍ، وَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَجَعَلَ يَمْشِي مَعَهُ، وَيُعَظِّمُ حَقَّ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَيَذْكُرُ حِلفَهُمْ، وَالَّذِي أَبْلَوْهُ يَوْمَ بُعَاثٍ، وَيَقُولُ: **اخْتَارُوكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ مِنْ قَوْمِكَ رَجَاءَ رَحْمَتِكَ وَعَطْفِكَ وَتَحَنُّنِكَ عَلَيْهِمْ، فَاسْتَبْقِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَكَ جَمَالٌ وَعَدَدٌ**، قَالَ: فَأَكْثَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَلَا يُرْجِعُ إِلَيْهِ سَعْدٌ شَيْئًا، حَتَّى دَنَوْا، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَا تُرْجِعُ إِلَيَّ فِيمَا أُكَلِّمُكَ فِيهِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: **قَدْ أَلَّا أَنْ لَا تَأْخُذَنِي فِي الله لَوْمَةُ لَائِمٍ**، فَفَارَقَهُ الرَّجُلُ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَبْقِيهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِالَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ، وَالَّذِي رَجَعَ سَعْدٌ إِلَيْهِ. [دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ١٩].

وقَالَ ابن إسحاق: فَلَمَّا حَكَّمَهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ أَتَاهُ قَوْمُهُ فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ قَدْ وَطَّؤُوا لَهُ بِوِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا جَمِيلًا، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُمْ يَقُولُونَ: **يَا أَبَا عَمْرٍو، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيكَ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ إِنَّمَا وَلَّاكَ ذَلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ**، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ ﵁: **لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي الله لَوْمَةُ لَائِمٍ**.

فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَنَعَى لَهُمْ رِجَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ ﵁ عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٣٩].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: فَلَمَّا جَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ الحُكْمَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﵁ خَرَجَتِ الأَوْسُ، حَتَّى جَاؤُوهُ، فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ بِشَنَذَةٍ مِنْ لِيفٍ، وَعَلَى الحِمَارِ قَطِيفَةٌ فَوْقَ الشَّنَذَةِ وَخِطَامُهُ حَبْلٌ مِنْ لِيفٍ.

فَخَرَجُوا حَوْلَهُ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ رَسُولَ الله قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيك لِتُحْسِنَ فِيهِمْ، فَأَحْسِنْ، فَقَدْ رَأَيْتَ ابْنَ أُبَيٍّ وَمَا صَنَعَ فِي حُلَفَائِهِ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ يَقُولُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، مَوَالِيَكَ، مَوَالِيَكَ قَدْ مَنَعُوك فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا، وَاخْتَارُوكَ عَلَى مَنْ سِوَاك وَرَجَوْا عِيَاذَكَ، وَلَـهُمْ جِمَالٌ وَعِدَدٌ.

وَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلامَةَ بْنِ وَقْشٍ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيك وَحُلَفَائِك، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يُحِبُّ البَقِيَّةَ، نَصَرُوك يَوْمَ البُعَاثِ وَالخَدَائِقِ وَالمَوَاطِنِ، وَلا تَكُنْ شَرًّا مِنْ ابْنِ أُبَيٍّ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَجَعَلَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: يَا أَبَا عَمْرٍو! وَإِنَّا وَالله قَاتَلْنَا بِهِمْ فَقَتَلْنَا، وَعَازَزْنَا بِهِمْ فَعَزَزْنَا.

قَالُوا: وَسَعْدٌ لا يَتَكَلَّمُ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ سَعْدٌ: قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي الله لَوْمَةُ لائِمٍ.

فَقَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ: وَاقَوْمَاهُ! ثُمَّ رَجَعَ الضَّحَّاكُ إِلَى الأَوْسِ فَنَعَى لَهُمْ بَنِي قُرَيْظَةَ.

وَقَالَ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ: وَاسُوءَ صَبَاحَاهُ.

وَقَالَ حَاطِبُ بْنُ أُمَيَّةَ الظَّفَرِيُّ: ذَهَبَ قَوْمِي أَخِرَ الدَّهْرِ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥١٠-٥١١].

وأمام هذا التصريح من سعد الزعيم ﷺ يئس قومه من أية تخفيضات يعطيها في حُكمه على اليهود، وتأكد لديهم أن الحكم من سعد ﷺ على بني قريظة سيكون الإعدام، حتى إن بعض الأوس ممن كانوا يسألون سعدًا ﷺ الإحسان إلى بني قريظة قد اعتبر هؤلاء اليهود ـ بعد ذلك التصريح من سعد ﷺ ـ في عداد الأموات ونعاهم إلى قومه قبل أن يصل سعد ﷺ إلى المعسكر النبوي في بني قريظة.

سعد ﷺ في المعسكر النبوي:

ولقد وصل سيد الأوس سعد بن معاذ ﷺ إلى مقر قيادة النبي ﷺ في بني قريظة، وكان سعد ﷺ عظيم الشأن عند النبي ﷺ ورفيع المقام بين المسلمين عامة وبين قومه خاصة.

روى أبو داود بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ قُرَيْظَةَ لَـمَّا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ ﷺ أَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ أَقْمَرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ إِلَى خَيْرِكُمْ»، فَجَاءَ حَتَّى قَعَدَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الحَدِيثِ، قَالَ: فَلَـمَّا كَانَ قَرِيبًا مِنْ المَسْجِدِ قَالَ لِلأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ». [أبو داود في الأدب (٥٢١٥)، وقال الشيخ الألباني: صحيح].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ قَالَ: فَأَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى سَعْدٍ ﷺ، فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ، فَلَـمَّا دَنَا قَرِيبًا مِنَ المَسْجِدِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ خَيْرِكُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ». [مسند أحمد ١٧/ ٢٥٩، ٢٦٢ رقم ١١١٦٨، ١١١٧٠، ١٨/ ٢١٦-٢١٧ رقم ١١٦٨٠ وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين].

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: ... قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَلَـمَّا طَلَعَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ**»، فَقَالَ عُمَرُ ﵁: سَيِّدُنَا اللهُ ﷻ، قَالَ: «**أَنْزِلُوهُ**»، فَأَنْزَلُوهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**احْكُمْ فِيهِمْ**». [مسند أحمد ٤٢/ ٢٦ -٢٨ رقم ٢٥٠٩٧، وقد سبق تخريجه قريبًا].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: وَأَقْبَلَ سَعْدٌ ﵁ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَالنَّاسُ حَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ جُلُوسٌ، فَلَـمَّا طَلَعَ سَعْدٌ ﵁ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»، فَكَانَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ يَقُولُونَ: فَقُمْنَا لَهُ عَلَى أَرْجُلِنَا صَفَّيْنِ، يُحَيِّيهِ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: إِنَّمَا عَنَى رَسُولُ الله ﷺ بِقَوْلِهِ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُم**» يَعْنِي بِهِ الأَنْصَارَ دُونَ قُرَيْشٍ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥١١-٥١٢].

وبينما الحديث يجري هكذا في المعسكر النبوي حول تفويض سعد بن معاذ ﵁ في أمر بني قريظة، كان هؤلاء اليهود الذين حاق بهم مكرهم السيئ يرتجفون خوفًا من المصير المرعب الذي يتوقعونه.

إلا أنهم مع شعورهم بالخوف الشديد، فقد بقي لديهم شيء من الأمل في الحياة، بعد أن علموا أن حلفاءهم الأوس قد بذلوا وساطتهم لدى الرسول القائد ﷺ ليخفف من عقوبتهم، وأن الرسول ﷺ ـ نتيجة لهذه الوساطة ـ قد جعل أمر هؤلاء اليهود لحليفهم وسيد حلفائهم سعد بن معاذ ﵁.

سعد ﵁ يطلب موافقة الحاضرين على تحكيمه:

وعندما استقر بسيد الأوس المقام في مقر القيادة النبوية في بني قريظة قال له النبي ﷺ: **احكم فيهم يا سعد، فقال: الله ورسوله أحق بالحكم، فقال ﷺ: قد أمرك الله أن تحكم فيهم.** [السيرة الحلبية ٢/ ١١٩].

غير أن سعدًا ﵁ ـ وقد علم حرص قومه الأوس على التساهل في الحكم على حلفائهم اليهود ـ أحب أن يستوثق من الجميع ويأخذ عليهم العهد ـ الرسول ﷺ والأوس وبني قريظة ـ بأن حُكمه إذا ما صدر يكون غير قابل للنقض أو النقاش.

فقد وقف الحَكَم الشاب الجريح سعد بن معاذ ﵁ في المعسكر النبوي، ووجَّه حديثه إلى قومه الأوس خاصة وإلى من في المعسكر عامة.

قَالَ ابن إسحاق: فَلَـمَّا انْتَهَى سَعْدٌ ﵁ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»، فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَيَقُولُونَ: إِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ الأَنْصَارَ، وَأَمَّا الأَنْصَارُ، فَيَقُولُونَ: قَدْ عَمَّ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ.

فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: **يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْكُمَ فِيهِمْ.**

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﵁: **عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ الله وَمِيثَاقُهُ، أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ لَمَا حَكَمْتُ؟**

قَالُوا: **نَعَمْ**، فَقَالَ سَعْدٌ ﵁: **وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا؟** فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ إِجْلَالًا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**».

قَالَ سَعْدٌ ﷺ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقْسَمَ الأَمْوَالُ، وَتُسْبَى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٣٩-٢٤٠].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: قَالَتْ الأَوْسُ الَّذِينَ بَقُوا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ لِسَعْدٍ ﷺ: **يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ رَسُولَ الله قَدْ وَلاَّكَ الْحُكْمَ، فَأَحْسِنْ فِيهِمْ وَاذْكُرْ بَلاءَهُمْ عِنْدَك.**

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ: **أَتَرْضَوْنَ بِحُكْمِي لِبَنِي قُرَيْظَةَ؟** قَالُوا: **نَعَمْ قَدْ رَضِينَا بِحُكْمِكَ وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنَّا، اخْتِيَارًا مِنَّا لَك وَرَجَاءَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا كَمَا فَعَلَهُ غَيْرُكَ فِي حُلَفَائِهِ مِنْ قَيْنُقَاعَ، وَأَثَرُنَا عِنْدَكَ أَثَرُنَا، وَأَحْوَجُ مَا كُنَّا اليَوْمَ إِلَى مُجَازَاتِكَ،** فَقَالَ سَعْدٌ ﷺ: **لا أَلُومُكُمْ جَهْدًا،** فَقَالُوا: **مَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ هَذَا؟** ثُمَّ قَالَ: **عَلَيْكُمْ عَهْدُ الله وَمِيثَاقُهُ أَنَّ الْحُكْمَ فِيكُمْ مَا حَكَمْتُ؟** قَالُوا: **نَعَمْ،** فَقَالَ سَعْدٌ ﷺ لِلنَّاحِيَةِ الأُخْرَى الَّتِي فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهَا إِجْلالًا لِرَسُولِ الله ﷺ: **وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا مِثْلُ ذَلِكَ؟** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ: «**نَعَمْ**». [المغازي للواقدي ٢/ ٥١٢].

اللحظة الرهيبة في تاريخ بني قريظة:

يقول أ/ باشميل: «وجاءت اللحظة الحاسمة، ووقف سعد بن معاذ ﷺ ليعلن كلمته النهائية في يهود بني قريظة، وأرهف هؤلاء اليهود أسماعهم مشدودة ناحية حليفهم الحَكَم سعد ﷺ، الذي أصبح مصيرهم جميعًا في يده، وسمروا أبصارهم عليه في جزع وقلق وركضت قلوبهم الخبيثة بين جنوبهم ووقفت نبضاتها في انتظار النطق بالحكم عليها.

وحتى الذين في المعسكر من المسلمين، شدت أبصارهم ناحية الحكم سعد ﷺ، وخاصة قومه الأوس الذين بذلوا كل مساعيهم لتخفيف الحكم على حلفائهم.

شدت أبصار الجميع إلى سعد ﷺ ليروا كيف يصدر حكمه على حلفائه اليهود.

لأن الجميع ـ وحتى النبي القائد ﷺ ـ لا يعلمون ما هو الحكم الذي سيصدره سعد ﷺ على هؤلاء اليهود.

وصدر الحكم النهائي، وكان صارمًا قويًّا ورهيبًا». [غزوة بني قريظة لباشميل ١٨٨].

سعد ﷺ يحكم بالإعدام على اليهود:

فقد حكم سعد بن معاذ ﷺ بالإعدام ضربًا بالسيف على كل من بلغ الحلم من رجال يهود بني قريظة.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ:... فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ الله ﷺ، فَرَدَّ رَسُولُ الله ﷺ الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ ﷺ [(١)]، قَالَ: **فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ.**

---

(١) يقول أ/ باشميل: «وبعض المؤرخين يذكر أن اليهود لما اشتد عليهم الحصار وافقوا على الاستسلام للقوات المحاصرة بشرط أن يحكم فيهم حليفهم سعد بن معاذ ﷺ، وأن النبي ﷺ وافق على هذا الشرط. ==

وحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ قَالَ: قَالَ أَبِي: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الله ﷻ». [مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٩)، ومسند أحمد ٤٠/ ٣٣٦-٣٣٧ رقم ٢٤٢٩٥، ودلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٦-٢٧].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ ـ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ ﷺ ـ [أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ] بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَـمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ [لِلأَنْصَارِ]: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ [أَوْ خَيْرِكُمْ]»، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الـمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، قَالَ ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ [قَضَيْتَ] فِيهِمْ بِحُكْمِ [الله أَوْ بِحُكْمِ] الْمَلِكِ». [البخاري في الجهاد والسير (٣٠٤٣)، وفي المناقب (٣٨٠٤)، وفي المغازي (٤١٢١)، وفي الاستئذان (٦٢٦٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٨)، ومسند أحمد ١٧/ ٢٥٩، ٢٦٢ رقم ١١١٦٨، ١١١٧٠، ١٨/ ٢١٦-٢١٧ رقم ١١٦٨٠].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: رُمِيَ يَوْمَ الأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ فَقَطَعُوا أَكْحَلَهُ أَوْ أَبْجَلَهُ، فَحَسَمَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِالنَّارِ فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ، فَتَرَكَهُ فَنَزَفَهُ الدَّمُ فَحَسَمَهُ أُخْرَى، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ، فَلَـمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ»، فَاسْتَمْسَكَ عِرْقُهُ فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ﷺ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَحَكَمَ أَنْ يُقْتَلَ رِجَالُهُمْ وَيُسْتَحْيَا [وَتُسْتَحْيَى] نِسَاؤُهُمْ [وَذَرَارِيُّهُمْ] يَسْتَعِينُ بِهِنَّ [بِهِمْ] الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَصَبْتَ حُكْمَ الله فِيهِمْ».

وَكَانُوا أَرْبَعَمِائَةٍ، فَلَـمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِمْ انْفَتَقَ عِرْقُهُ فَمَاتَ. [الترمذي في السير (١٥٨٢)، وقَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَعَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والدارمي في السير (٢٥٥١)، ومسند أحمد ٢٣/ ٩٠ عن جابر ﷺ رقم ١٤٧٧٣، وقال الشيوخ الألباني والدارقطني والأرناؤوط: صحيح].

وعَنْ عُرْوَةَ ـ يعني ابن الزبير ـ قَالَ: ونَفَذَ سَعْدٌ ﷺ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ، احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ»، فَقَالَ سَعْدٌ ﷺ: أَحْكُمُ فِيهِمْ بِأَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، ويُغْتَنَمَ [وَيُقْسَمَ] سَبْيُهُمْ، وَتُؤْخَذَ أَمْوَالُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ.

== والذي عليه جمهرة المؤرخين وأصحاب الحديث والمغازي أن سعدًا ﷺ لم يكن حكمًا إلا بعد أن توسط قومه لدى رسول الله ﷺ، ليخفف العقوبة عن هؤلاء اليهود.

يؤيد قولنا هذا ما ثبت في صحيح البخاري (وهو أصح المصادر التاريخية على الإطلاق) من أن اليهود نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، دونما قيد أو شرط فرد الحكم فيهم إلى حليفهم سيد الأوس سعد بن معاذ ﷺ.

أما ما ثبت في صحيح البخاري من أن النبي ﷺ قال لسعد ﷺ لما جاء إلى بني قريظة ـ بعد استسلامهم: «هؤلاء (يعني اليهود) نزلوا على حكمك»، فإنه يعني أن النبي ﷺ قد جعله نائبًا عنه في الحكم عليهم بعد أن رد ذلك إليه كما هو صريح في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة». [غزوة بني قريظة لباشميل ١٩٠-١٩١].

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حَكَمَ فِيهِمْ سَعْدُ بن مُعَاذٍ بِحُكْمِ الله».

وَيَزْعُمُ نَاسٌ أَنَّهُمْ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ الله ﷺ، فَرَدَّ رَسُولُ الله ﷺ الحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدِ بن مُعَاذٍ ﷺ.

[مجمع الزوائد ٦/ ٢٠١ في المغازي والسير (١٠١٥٦)، وقال الهيثمي: قلت: في الصحيح بعضه عن عائشة ﷺ متصل الإسناد، رواه الطبراني [المعجم الكبير ٦/ ٧ رقم ٥٣٢٧] مرسلًا وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف. وقال محقق المعجم الكبير: قلت: وهذا من الضعيف].

وعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ:... قَالَ ﷺ: «أَنْزِلُوهُ»، فَأَنْزَلُوهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «احْكُمْ فِيهِمْ».

قَالَ سَعْدٌ ﷺ: «فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ»، وَقَالَ يَزِيدُ بِبَغْدَادَ: وَيُقْسَمُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الله ﷻ وَحُكْمِ رَسُولِهِ».

[مسند أحمد ٤٢/ ٢٦ رقم ٢٥٠٩٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: بعضه صحيح، وجزء منه حسن وهذا إسناد فيه ضعف عمرو بن علقمة لم يرو عنه غير ابنه محمد، مجمع الزوائد ٦/ ١٩٩-٢٠١ في المغازي والسير (١٠١٥٥)، وقال الهيثمي: قلت: في الصحيح بعضه، رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات، والمصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٦٨-٣٧١ في المغازي (٣٧٩٥١)].

قَالَ ابن إسحاق: قَالَ سَعْدٌ ﷺ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ [مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ المُوسَى]، وَتُقْسَّمَ الأَمْوَالُ، وَتُسْبَى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ.

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ عَلقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِسَعْدٍ ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الله ﷻ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ (سماوات، الواحدة: رقيع)». [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٤٠، المغازي للواقدي ٢/ ٥١٢].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: إِنَّ يَهُودَ النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ حَارَبُوا رَسُولَ الله ﷺ، فَأَجْلَى رَسُولُ الله ﷺ بَنِي النَّضِيرِ وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ الله ﷺ فَأَمَّنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى رَسُولُ الله ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُمْ قَوْمُ [رَهْطُ] عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ [يَهُودِ الْمَدِينَةِ] يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ. [البخاري في المغازي (٤٠٢٨)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٦٦)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٣٠٠٥)، ومسند أحمد ١٠/ ٤٣٤ عن ابن عمر ﷺ رقم ٦٣٦٧].

يقول أ/ باشميل: «إلا أن سعدًا ﷺ ـ وقد فُوِّض في أمر اليهود تفويضًا مطلقًا ـ حكم باجتهاد منه، أن تكون ديار يهود بني قريظة كلها للمهاجرين دون الأنصار؛ وذلك لأن المهاجرين ليس لهم في المدينة بيوت؛ لأنهم قد تركوا كل ممتلكاتهم في مكة عند المشركين عندما فروا بدينهم وهاجروا إلى المدينة.

وقد برر سعد ﷺ حكمه هذا عندما عارضه بعض الأنصار بقوله لهم: (إني أحببت أن يستغنوا عنكم). [السيرة الحلبية ٢/ ١١٩].

وبعد أن صدر الحكم على اليهود من سعد ﷺ، لم يبد قومه الأوس أية معارضة؛ لأنه قد أخذ عليهم (مسبقًا) العهد والميثاق أن ليس لأحد منهم المعارضة أو التعقيب على حكمه.

أما اليهود فقد صعقوا لهذا الحكم الصارم وعلاهم الذهول وخيم عليهم الوجوم، ولم يرو أحد من المؤرخين أن هؤلاء اليهود ناقشوا هذا الحكم أو عارضوه بأي احتجاج.

لأن ذلك ليس لهم؛ لأنهم (أولًا) قد نزلوا على حكم رسول الله ﷺ دونما قيد أو شرط، ولأنهم (ثانيًا) قد وافقوا بعد استسلامهم على تحكيم سعد ﷺ ـ عندما أخذ موافقتهم قبل إصدار الحكم».

[غزوة بني قريظة لباشميل ١٨٩-١٩٠].

يقول د/ هيكل: «ولم يكن بنو قريظة يتوقعون هذا الحكم من سعد بن معاذ ﷺ حليفهم، بل كانوا يحسبونه يصنع بهم ما صنع عبد الله بن أبيٍّ مع بني قينقاع، ولعل سعدًا ﷺ ذكر أن الأحزاب لو انتصرت بخيانة بني قريظة لما كان أمام المسلمين إلا أن يُستأصلوا وأن يُقتلوا وأن يمثَّل بهم، فجزاهم بمثل ما عرَّضوا المسلمين له». [حياة محمد ﷺ لهيكل ٣٤٩].